الجهاد والدعوة الاسلامية في جامبيا
حركة الشيخ مابا دياهو الاصلاحية
في جـامبيـــا

د . عبدالله عبد الرازق إبراهيم
أستاذ التاريخ الحديث المساعد
بجامعتي الـقـــاهـرة وقطـــر

الجهاد والدعوة الاسلامية في جامبيا
حركة الشيخ مابا دياهو الاصلاحية في جامبيا

بالرغم من أن دولة جامبيا تمثل في يومنا هذا مجرد دولة صغيرة على الساحل الغربي للقارة الأفريقية ، إلا أن منطقة وادي جامبيا لعبت دوراً كبيراً في نشر الإسلام وحضارته في غرب أفريقيا يفوق حجمها على الخريطة السياسية للقارة .

وكلمة جامبيا تشير إلى أكثر من شيء ، فهي تشير إلى نهر جامبيا الذي يعد من أهم الممرات المائية الصالحة للملاحة لمسافة تزيد عن ٥٠٠ ميل في غرب القارة ، وارتبط هذا النهر تاريخياً بالسودان الغربي ، وطرق التجارة عبر الصحراء ، بل وكانت المنطقة نقطة ارتكاز لإمبراطورية مالي القديمة ، والتي ساعدت على استقرار شعب الماندنجو في هذه الجهات .

وخلال القرن التاسع عشر ظهرت جامبيا في المراسلات الرسمية لوزارة المستعمرات البريطانية ، وكانت مستعمرة للتاج من أجل مقاومة تجارة الرقيق ، ولتشجيع التجارة المشروعة على النهر . ولم تزد عن نقطتين للاستقرار على طول النهر .

وتمثل جامبيا اليوم دولة ذات سيادة ، وواحدة من الدول الأفريقية المستقلة التي تشمل حوالي ٣٠٠ ميل من شواطىء النهر ولا يزيد سكانها عن ٣٢٠,٠٠٠ نسمة ، بل وهي من أصغر الوحدات السياسية في أفريقيا[١] .

ولقد شهد هذا النهر والمناطق المحيطة به قيام مناطق استقرار جذبت أعداداً كبيرة من الماندي والولوف (Wolof) والفولاني (Fulani) والسراهولي (Serahuli) والجولا (Jola) والسرر (Serer) . وسيطر الولوف على المنطقة وكونوا دولة قوية سيطرت على الضفة اليمنى لنهر جامبيا ، وعرفت هذه الدولة كيف تبسط نفوذها على ما جاورها من مناطق ، ودخل سكانها الدين الإسلامي لكن بشكل بطيء وغير منظم ، لكن اعتناق الرؤساء للإسلام كان ضعيف الأثر ، وظل بعضهم على وثنيته رغم السماح لرجال الدين بممارسة أعمالهم بحرية حتى قيام حركة جهاد مابا الإصلاحية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

وسوف نحاول من خلال هذا العرض لجهاد هذا الزعيم الديني أن نسلط الأضواء على نشأته ، والظروف التي أدت إلى إعلان جهاده الإسلامي والأسباب التي دفعت الأوروبيين للتصدي لهذا الجهاد ، وأخيراً النتائج التي خلفها جهاد هذا المرابط المسلم في تاريخ المنطقة بشكل خاص ، وتاريخ الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر بوجه عام .

---

(١) Quinn, Charlotte: Mandingo Kingdoms of the Senegambia, London 1972, p. 107.

أولاً : نشأة مابا دياهو

لقد شهدت منطقة غرب إفريقيا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر موجة من حركات الإصلاح الديني التي عمت معظم أرجاء العالم الإسلامي ، واختلفت الآراء وتعددت الأسباب حول قيام هذه الحركات الإسلامية في ذلك الوقت وبشكل متزامن في معظم أرجاء العالم الإسلامي ، وفسر البعض هذه الثورات باعتبارها رد فعل طبيعي لما أصاب العالم الإسلامي من جمود فكري وتخلف حضاري ، جعل المسلمين يفقدون مقاليد السيادة والسيطرة . كما أرجع بعض المؤرخين هذا البركان الهائل من الحماس الديني إلى الغزو الأوروبي الذي اجتاح العالم الإسلامي في أوائل القرن التاسع عشر ، وكان لا بد من حركات ثورية تعيد للدين الإسلامي الصفاء والنقاء ، وتفرض على السكان الذين مارسوا حياة الوثنية قبول هذا الدين الحنيف قبل أن يتساقطوا في أيدي رجال التبشير ، الذين جاءوا وكلهم حماس في ركاب الموجة الاستعمارية لنشر العقيدة المسيحية بين سكان أفريقيا ، ولكن الأهم من كل هذه التفسيرات هو أن جهاد كل منطقة ارتبط بعوامل محلية ، كانت المحرك الرئيسي لإعلان هذا الجهاد في تلك البقعة من القارة أو في ذلك الأقليم الآخر .

وكانت ثورة ماباديا‌هو أصلاً عملية من التمرد على الإرهاب الطويل الذي عانته الأقليات المسلمة في ظل الحكام التقليديين من الوثنيين أو غيرهم . فكانت أساساً من أجل القضاء على سلطان هذه الأسر الحاكمة وإعلان دويلات إسلامية تهدف في المقام الأول إلى الرجوع بالدين الإسلامي إلى بساطته وأصوله في عهد الرسول الكريم ﷺ والخلفاء الراشيدين .

ولقد اختلفت الآراء حول أصل مابا حيث يرى البعض أنه من جماعات الماندنجو والولوف والسرر لكن هذا الشيخ والزعيم الديني كان الابن الأكبر لأحد رجال الإسلام ويدعي نديجوبا (N'Diougu Ba) والذي جاء من فوتاتورو إلى باديبو ، إحدى دويلات الماندنجو على ضفاف نهر جامبيا[٢] .

وأسس الوالد مدرسة لتعليم القرآن الكريم ، وولد مابا في إقليم باديبو في عام ١٨٠٩ ، وكانت أمه من نساء الولوف (Wolof) . ودرس مابا على أيدي والده مبادىء الدين الإسلامي ، وحفظ القرآن الكريم ، كما درس الشريعة الإسلامية قبل أن يرسله والده إلى مدرسة قرآنية في كايور ، وهناك التقى مابا مع عدد من العلماء واحتك بتيارات فكرية واردة من الشمال الأفريقي خصوصاً من مراكش وتونس[٣] .

وانتقل الشيخ مابا إلى بلاد الولوف حيث درس على يد الشيخ مومارمباي (Momor M'Baye)

---

(٢) انظر خريطة شكل رقم (١) .

(٣) Klein, Martin: Islam and Imperialism in Senegal, Sine--Saloum 1947-1914, London 1968, p.67.

وهنـاك أسس لنفسـه مدرسة لتعليم مبادىء الدين الإسلامي ، وحقق من وراء هذا شهرة كبيرة ومركزاً اجتماعياً مرموقاً ، وجذب إليه عدداً كبيراً من الاتباع داخل امبراطورية الولوف وتزوج ابنة أخت حاكم الولوف وتدعى ماتي نجيا (Matti N'jie) والتي أنجبت منه ابنه سعيد ماتي .

واستمر الشيخ مابا في بلاد الولوف حتى وفاة والده ، فجاء إليه أخوته الصغار ، وأغروه بالعودة إلى باديبو ليصبح رئيساً للأسرة هناك ، وتردد مابا كثيراً لكنه قبل العودة في النهاية .

تصادف في تلك الفترة التي قرر مابا فيها العودة إلى باديبو أن كان الحاج عمر الفوتي التكروري يجمع المجاهدين من أجل الهجوم على دويلات وادي السنغال فحدث اللقاء بين الحاج عمر والشيخ مابا في عام ١٨٥٠ ، وقضى الرجلان ثلاثة أيام سويا في العبادة ، وعرف مابا من الحاج عمر الكثير عن الطريقة التيجانية وعن الحرب التي ينوي القيام بها في سانجامبيا ضد الوثنيين ، كما حدث في هذا اللقاء الاتفاق على قيام مابا بإعلان الجهاد في المنطقة التي سيستقر بها في باديبو .

وبالفعل عاد مابا إلى باديبو وأسس مدينة مستقلة أسماها كيرمابا (Kir Maba) أي مدينة مابا وذلك على حدود جامبيـا مع السنغـال ، وانضم إليه عدد من الأتباع والطلاب من دويلات الولوف في الشمال ، وكانت الفترة الأولى هي مرحلة جهاد اليد واللسان أو الجهاد الروحي ، حيث حاول مابا وضع أسس الدين الإسلامي الصحيحة[٤] .

ولقى مابا ترحيباً من حاكم باديبو الذي وافق على إنشاء المدينة الخاصة بالشيخ ، وقد جذبت هذه المدينة الشباب من الأسر العريقة في المدن المجاورة وكان معظمهم من الولوف ، وتقلد عدد كبير منهم مناصب هامة في أثناء جهاد الشيخ مابا .

والمعروف أن باديبو ظلت قروناً عديدة تحت حكم أسر من الماندنجو الذين جاءوا إلى النهر من الشرق ، وسيطرت هذه الأسر على الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

ولقد أدى ازدياد اتباع مابا وارتفاع مكانته إلى بداية الريبة والشك من جانب الأسر الحاكمة ، حيث فتر الحماس للشيخ وصار الترحيب غير ودي ، بل وعم سخط الحاكم على الشيخ وأتباعه ، لكن الشيخ كان رجلاً ذكياً قوي الشخصية ، فجذب إليه الاتباع ، وصارت شخصية محل تقدير عدد كبير من السكان ، وكان لابد من الصدام مع هذه الأسر ، وإعلان الجهاد الإسلامي بين هذه الأقوام .

لكن كيف كان وضـع المنـطقة قبل إعلان الجهاد ؟ وهل كان الدين الإسلامي معروفاً بشكل واضح بين هذه الجماعات ؟ إن هذه تساؤلات لابد أن نجيب عليها قبل أن نخوض في حركة جهاد الشيخ مابا حتى تتضح صورة جهاد هذا المناضل الإسلامي ، من خلال البنية الاجتماعية والهياكل الاقتصادية والأحوال السياسية التي عمت المنطقة قبل إعلان الثورة الإسلامية .

---

(٤) Gibb, H. A. R.: Mohammedanism, 2nd ed., 1963, p. 27.

ثانياً : أحـوال المنطقة قبل إعلان الجهـاد

في منتصف القرن التاسع عشر ، وعلى حافة الساحل الغربي المطير قامت خمس عشرة دويلة على طول وادي جامبيـا ابتـداءً من المحيط الأطلسي إلى مساقط باراكوندا (Barakunda) وتشكل هذه الدويلات مجتمعة إحدى مناطق الاستقرار الكبرى لجماعات الماندي (Mandi) في القارة الأفريقية ، وحيث أنها تقـع على إحـدى الممـرات المائية الأفريقية الهامة ، فإن هذه المجتمعات كانت سهلة الاتصال مع الحركات الإسلامية الأخرى ، وقد ساعد هذا على نشر الأفكار من الشمال إلى الجنوب[٥] .

ويقع شمال دويلات جامبيا وفي منطقة واسعة جماعات الولوف والسرر ، وأما في الشرق فتوجد دويلات التورودوب في فوتاتورو وبوندو وفوتا جالون[٦] .

وعنـدمـا وصل البرتغاليون إلى جامبيا في القرن الخامس عشر الميلادي وجدوا أن المستشارين المسلمين يعملون في بلاط حكام الماندنجو ، ويقول الرحالة فيرناندز (Fernandes) بأن علماء فاس ومراكش كانوا يقومون بمهمة التدريس بين جماعات الولوف[٧] .

---

(٥) وهذه الدويلات من الغرب إلى الشرق يوجد في الشاطىء الشمالي نيومي (Nuimi) وباديبو (Badiba) ونياني السفلى ، ونياني العليـا ، وولي (Wuli) وفي الشـاطىء الجنـوب توجد جومبو (Gombo) وفوجني (Fogny) وكيانج (Kiang) وجارا (Garra) ونيامينا (Nyamina) وكانتورا (Kantora) وجيمارا (Jimara) وتوماني (Tomani) خريطة شكل رقم (١) .

(٦) إن جماعات التورودوب من الشعوب التي وجدت في الدين الإسلامي مصدراً لثقافتها ، وقد ظهروا كطبقات حاكمة في كثير من مجتمعات غرب أفريقيا . وهذا الاصطلاح تورودوب ليس مشتقاً من تورو مثل فوتاتورو لكنه يعني ارتباط مع هذه الجماعة بالسعي في سبيل الله ، ومن ثم فإن ظهور هذه الجماعة قد ارتبط مع انتشار الإسلام في منطقة فوتاتورو . وكان طلاب التورودوب يبحثـون عن لقمة العيش في كل مكان حتى اقترنت عملية الإحسان بالسفر في جماعات إلى بلاد فوتاتورو بعد إكمال الدراسات القرآنية .

واختلفت الروايات حول الأصل الاجتماعي لهذه الجماعات ، فيرى أرسين أنهم من العبيد الذي يحررون من البؤس والعبودية ، ويرى بريجود الفرنسي أن التورودوب من المسلمين أو البربر الذين جاءوا من الشمال بدون زوجاتهم وتزوجوا من نساء بلاد السنغال ، وورث أبناؤهم الدين الإسلامي وأنشأوا طبقة أطلق عليها التورودوب . لكن مهما اختلفت الآراء حول أصلهم فإنهم نجحـوا في تأسيس مجتمـع مفتـوح لكل الأفراد الذين لديهم الاستعداد لتقبل عاداتهم وتقاليدهم ، وازدادت قوتهم يوماً بعد يوم ، حتى وصلوا إلى الحكم والزعامة في كثير من دويلات غرب أفريقيا مثل دولة سوكوتو في شمال نيجيريا بقيادة الزعيم الديني عثمان بن فودى ، وأسس التورودوب المدارس القرآنية والمساجد في المراكز الحضارية الكبرى ، وقاموا بتدريس اللغة العربية . وصارت المساجد نقطة الارتكاز للحياة الدينية والعلمية ، بل وصارت قلب الإدارة السياسية .

وباختصار فإن إسلام التورودوب قد هز المجتمعات الأفريقية من أساسها وغير أنظمتها الاجتماعية ، وظهرت طبقات حاكمة في فوتاتورو وفوتاجالون وبوندو ، وتوارث التورودوب منصب الإمامة ، وشنوا حملات الجهاد لنشر الدين الإسلامي في تلك المنـاطق ، ومـا جهاد الشيخ عثمان بن فودى والحاج عمر الفوتي التكروري إلا أمثلة من هذا الجهاد لأبناء هذه الطبقة . انظر :

Arcin, A.,: Historie de la Guinee Francaise, Reivere du sud, FoulaDialo, Regio Sud du Soudan, 1911, p. 68.

(٧) Fernandes, V.: Description de la Coite Occidentale d'Afrique (ed) T. Monod and R. Mauny, Bissau, 1951, p. 8.

كما وجد أحد الرحالة البريطانيين الذين زاروا المنطقة في عام ١٦٣٠ أن رجال الدين في معظم دويلات نهر جامبيا يمارسون نشاطهم الديني[٨] . ووجد الرحالة بارك (Park) أن المدرسين في بلاد الماندنجو يقومون بالتعليم في المدارس الإسلامية ، كما أنهم يقومون بنسخ المخطوطات التي اشتروها من التجار المغاربة أو التي استعاروها من المسلمين في المناطق المجاورة[٩] .

لكنه رغم انتشار الدين الإسلامي على نطاق واسع ، إلا أن الإسلام ظل دين الأقلية في دويلات نهر جامبيا ، حيث ظلت الوثنية هي الديانة السائدة بسبب إصرار مجتمعات الولوف على الدفاع عن معتقداتها المحلية . ورغم أن المسلمين كانوا يشكلون الطبقة المثقفة ويتولون المناصب الاستشارية الهامة ، إلا أنهم استبعدوا من تولى المناصب الإدارية في مجتمعات الماندنجو التي كانت تشكل أكبر الجماعات في المنطقة .

وفي منتصف القرن التاسع عشر بدأ ظهور مجتمعين متناقضين لكل منهما عاداته وتقاليده ، وصار إصطلاح السوننكي والمرابط من أكثر المصطلحات انتشاراً في المجال السياسي لسانجامبيا . وأصبح «السوننكي» يستخدم ليعنى الكافر ، بينما اصطلاح المرابط يعني الشيخ والمدرس وجماعات المسلمين ، وبعبارة أخرى صار إصطلاح السوننكي يرتبط بالجماعة الحاكمة من العائلات الأرستقراطية ، بينما اقتصر اصطلاح المرابط على السكان الذين حرموا من ملكية الأرض ، أو من تولى المناصب العليا في الدولة[١٠] .

وبعد عام ١٨٤٠ انهار المجتمع التقليدي لسلطة الماندنجو بعد إدخال محصول الفول السوداني والذي غير هيكل الإنتاج بعد وصول عدد كبير من التجار المسلمين الذين عملوا في هذه التجارة ، وكانوا على استعداد لدفع الضرائب لأصحاب الأرض من السوننكي مقابل استخدامها في زراعة الفول السوداني[١١] .

ومع انتشار السلع النقدية بين جماعات الماندنجو ، استطاع تجار المسلمين شراء الأسلحة والمعدات الحربية من تجار الساحل ، واضطر السوننكي إلى الاعتماد على المرتزقة للحفاظ على مكانتهم في الحكم . وكان شعب باديبو دائم الثورة على السوننكي ، واضطر إلى الخروج في جماعات مسلحة ، وهاجم المسلمين وشرد زوجاتهم وممتلكاتهم . واضطر السوننكي إلى تحديد استخدام الأرض مع فرض ضرائب جديدة على كل الذين يعملون في هذه التجارة ، وتأثر المسلمون كثيراً من هذه الإجراءات التي حرمتهم من أراضيهم وفرضت عليهم ضرائب كثيرة[١٢] .

(٨) Jobson, R.: The Golden Trade, London, 1932, p. 101.

(٩) Park, M.: Travels of Monog Park (ed) R. Miller, 1954, p. 240.

(١٠) Guinn, Charlotie Alison: Maba Diakhou and the Gambian Jihad (1850-1859) in Willis Ralf (ed) The Cultivators of Islam Vol. I, pp. 239-340

(١١) Gamble, D. P. Contribution to a Socio-Economic Survery of the Gambia (1949), p. 59.

(١٢) C. O. 87/80 d'Arcy to Cardwell 24 October, 1864.

وفي عام ١٨٥٠ كان الوضع في باديبو حرجاً بالنسبة للمسلمين الذين تعرضوا لحملات السوننكي لجباية الضرائب منهم ، مما أحدث سخطاً بين الأهالي ، وانتهز مابا هذه الفرصة لنشر الدين الإسلامي في باديبو[١٣] .

وانضم عدد كبير من السكان إلى الدين الإسلامي ، كما اعتنقه بعض الحكام في وادي جامبيا ، وصارت الطبقة الدنيا ترتفع تدريجياً إلى مصاف السلطة بعد أن فقد السوننكي مكان القيادة والصدارة[١٤] .

وازدادت قوة المسلمين ولم يعودوا مجرد تابعين لغيرهم من الحكام الوثنيين ، وراحوا يبحثون عن قائد لهم ، يعلن الثورة ، ويقود الجموع إلى نشر الدين الإسلامي في وادي جامبيا ، ووجد هؤلاء المسلمون ضالتهم المنشودة في شخصية مابا ، الذي كان يستعد هو الآخر لخوض غمار حرب ضد الفساد وضد الوثنيين ، بعد أن تلقى التعاليم من الشيخ عمر الفوتي التكروري .

ثالثاً ، الجهاد الاسلامي في جامبيا

لقد ارتبطت حركة جهاد مابا ارتباطاً وثيقاً بحركات الجهاد التي كانت تموج بها منطقة غرب القارة الأفريقية ابتداء من القرن التاسع عشر حيث جهاد الشيخ عثمان بن فودى في نيجيريا وانتهاء بحركة عمر الفوتي التكروري في بلاد السنغال . وإذا كان الشيخ عثمان بن فودى قد أعلن جهاده ضد القبائل الوثنية في نيجيريا ، فإنه انتهج الطريقة القادرية والتي صارت أهم الطرق الصوفية في غرب أفريقيا . لكن الحاج عمر الفوتي رغم أنه عاش فترة في نيجيريا فإنه عندما أعلن جهاده في السنغال انتهج الطريقة التيجانية والتي صارت شائعة في المناطق المجاورة للسنغال ، وتأثر بها بشكل مباشر المجاهد مابا في منطقة جامبيا .

ورغم ما صاحب الطرق الصوفية في القارة الأفريقية من بعض السلبيات ، إلا أن جميع حركات الإصلاح والجهاد الإسلامي التي قامت في القارة في القرن التاسع عشر تأثرت بشكل مباشر أو غير مباشر بإحدى الطريقتين القادرية أو التيجانية ، ونظراً لأن مابا قد التقى بالحاج عمر الفوتي التكروري ودرس ورد طريقته ، فإننا نلقي نظرة على هذه الطريقة ومؤسسها قبل أن نخوض في أحداث الجهاد الإسلامي حتى يتضح دور هذا التأثير الصوفي على الحركة .

إن الطريقة التيجانية تعود إلى مؤسسها الشيخ أبي العباس بن أحمد بن محمد بن المختار التيجاني الذي ولد في قرية عين ماضى في جنوب الجزائر في عام ١٧٣٧م ، وسافر إلى فاس للبحث عن شيوخ الصوفية هناك حيث درس أسس الطرق الصوفية ، ثم رحل إلى مكة لأداء فريضة الحج ، وهناك

(١٣) C. O. 87/83 d'Arcy to Newcastle 24 October, 1864.

(١٤) Printon, C.: The Anatomoy of Revolution, 1962, C. 087/80 D'Arcy to Cardwell 24 October, 1864

التقى بشيخ صوفي هندي يدعى أحمد بن عبدالله ، وتعلم منه التيجاني كثيراً عن التصوف[١٥] .

وعاد التيجاني إلى فاس وظل هناك حتى وفاته عام ١٨١٥ بعد أن أسس طريقة صوفية انتشرت بشكل واسع في شمال افريقيا وغربها . ويرجع سبب انتشارها في الغرب إلى جهود الحاج عمر الفوتى التكروري (١٧٩٥ - ١٨٦٤) والذي زار سوكوتو ١٨٢٥ بعد أن اعتنق الطريقة التيجانية على أيدي أحد شيوخ فوتا جالون ويدعى الشيخ عبدالكريم بن أحمد النقيل[١٦] .

وبعد أن قام الحاج عمر برحلة ثقافية شملت مكة ومصر وماسينا وسوكوتو عاد واستقر في مسقط رأسه ببلاد السنغال واتخذ من دنجورای عاصمة له ، وبدأ حركته الإصلاحية الكبرى بعد عام ١٨٥٢ ، وقام بشراء الأسلحة ، وأخذ يطور جيشه ويدربه على أحدث وسائل القتال ، وهاجم جماعات البمبارا الوثنية ، لكنه التقى في هذه المرحلة من جهاده بالقوات الفرنسية التي كانت قد خططت للتوسع في غرب القارة ، وخشي الحاج عمر على دعوته ، فأخذ يهادن الفرنسيين حتى لا يتورط في صراعات تضيع ثمرات هذا الجهاد ، وانتقل إلى منطقة ماسينا حيث نشر الطريقة التيجانية ، لكن القوى المحلية تصدت له ، ودخل في صراع معها انتهى باستشهاده هناك عام ١٨٦٤ بعد أن وضع لبنات هذه الطريقة والتي صارت أهم الطرق التي قاومت الاستعمار الأوربي في غرب أفريقيا ، وسار على نهجها وأورادها الشيخ مابا في منطقة جامبيا .

وباختصار يمكن القول أن حركة جهاد مابا قد حملت في جوانبها ذلك المؤثر الصوفي على نهج الطريقة التيجانية ، وهو المؤثر الذي كان له أكبر الأثر في انضمام عدد كبير من السكان إلى صاحب الطريقة ، والجهاد معه لنشر أورادها ، والتصدي للغزو الاستعماري الذي حاول بسط نفوذه على المنطقة في أواخر القرن التاسع عشر .

وفي الوقت الذي كان مابا يستعد لإعلان ثورته الإسلامية ضد السكان الوثنيين في باديبو ، كانت بريطانيا قد قسمت المنطقة بينها وبين فرنسا ، وتقدم البريطانيون نحو ميناء باديبو ، كما تحركت قوات بريطانية وهاجمت المدن الرئيسية مثل انديا (India) والياسا (Illiasa) التي يحيط بها مجتمع المسلمين ، ولذا وجد البريطانيون مقاومة عنيفة من المسلمين هناك ، في الوقت الذي انهزم جيش السوننكى وسقطت مدنه في كيروان (Kerewan) وكنليكوندا (Kinle Kunda) واضطر المابا إلى التورط في عمليات الدفاع عن المنطقة ضد هذا الغزو البريطاني ، وطلب من البريطانيين الانسحاب من مدن المسلمين ، وحاول التوسط لعقد صلح بين حاكم باديبو والبريطانيين[١٧] .

---

(١٥) انتشر في غرب القارة بين جماعات الفولاني ومجموعة أخرى من الشعوب الزنجية ومنها الماندنجو والولوف والسرر .
Abun Nasr Gamil: The Tijaniyya, a Sufi Order in Modern World, London 1971, p. 15.

(١٦) حاول ابن عمه عثمان جاما بابا أن يرجع أصل العائلة إلى سلالة منديا تاكيتا إمبراطور مالي ، وأن العائلة من التورودوب الذين تزاوجوا مع الولوف .

(١٧) انظر الخريطة شكل رقم (١) .

وقد ساعد هذا الهجوم البريطاني على باديبو عام ١٨٦١ على تقويض هيكل النظام التقليدي لحكم السوننكى ، وجد مابا أنه من الأفضل أن يعتزل هذه الصراعات ويستقر في باثورست - المستعمرة البريطانية عند مصب النهر - حتى يتم الاتفاق مع السوننكى . وبعد أن حصل على أسلحة من التجار في الساحل قرر العودة إلى باديبو ليبدأ مرحلة من الصراع مع حاكمها .

وحاول الحاكم تدبير مؤامرة لقتل مابا لكنه فشل ، وعندئذ أعلن مابا الجهاد في سبيل الله ، وطلب من كل المسلمين في باديبو أن يتبعوه ، ولما ازداد اتباعه اتخذ من مدينة انديا (India) عاصمة له ، وقتل الحاكم وطرد السوننكى ومحاربيهم بشكل جماعي من باديبو ، واضطرت الأسرة الحاكمة إلى الرحيل إلى سالوم في الشمال وعبرت أسرة الجيمز نهر جامبيا إلى كيانج عن طريق القوارب التي قدمها لهم تجار باثورست[١٨] . وأسرع المرابطون في تحصين مدنهم في كيرمابا ونيورو وأعلن مابا نفسه إماماً على باديبو[١٩] .

واستطاع مابا خلال السنوات الأولى من إعلان جهاده أن يجذب إليه عدداً من السكان وأن يوسع رقعة انتشار الدين الإسلامي بين السكان وأن يطبق الشريعة الإسلامية في كل جوانب الحياة ، وأن يجعل من جهاده وسيلة للقضاء على حكم فاسد مستبد ، وأن يعيد للمنطقة حكماً إسلامياً على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

وكان مابا يرغب بشدة في نشر الدعوة بالحسنى ، ووجه رسالة إلى حكام السوننكى بهذا المعنى في يناير عام ١٨٦٣ حيث أعلن فيها عن رغبته في العيش في سلام لأن الحرب سوف تأتي على الأخضر واليابس ، لكنه سيضطر إلى شنها إذا رفض الوثنيون الانضمام إلى جهاده ، وأكد أن الجهاد واجب إجماعاً ، وأن قتال الكفار واجب مقدس ، وأن الله قد ألقى على عاتق الرسول ﷺ مسئولية إنقاذ الفقراء من الحكام الأشرار[٢٠] .

ولما حاول مابا نشر الدين الإسلامي في باديبو ، وجد معارضة كبرى من جانب حكام السوننكى الذين شكوا فيه ، وبدأوا يخططون للقضاء عليه ، فاعتبر مابا أن حكام نيومي (Niumi) وسالوم من الوثنيين ، وأعلن الجهاد ضدهم من أجل القضاء على الملوك المحليين الذين لا يطبقون الشريعة الإسلامية ، وأشار إلى أن باله لن يهدأ إلا بعد طردهم ، وتحويل السوننكى إلى الإسلام ، وكان هذا السعي لنشر الإسلام عاملاً نقل الجهاد من حيز ضيق إلى نطاق واسع ، وصارت معارضة السلطة المحلية من الأفكار المتقبلة في حركة الجهاد للهجوم على الحكام المحليين بقصد تحويلهم إلى الدين الإسلامي[٢١] .

---

(١٨) C. O. 87/73 d'Arcy to Newcastle 2 May, 1882.

(١٩) C. O. 87/76 d'Arcy to Newcastle, 24 January, 1883.

(٢٠) C. O. 87/73 d'Arcy to Newcastle 8 August, 1882.

(٢١) انظر الخريطة شكل رقم (١) .

لكن أوضاع المنطقة في ذلك الوقت والزحف الأوروبي الفرنسي والإنجليزي كانا يتربصان بالأفارقة في كل مكان ، مما جعل من الصعوبة على مابا أن يعيش في معزل عن الأحداث أو أن يقف موقفاً سلبياً منها ، لأن مجتمعات المرابطين في أماكن أخرى من سانجامبيا استنجدت به لمساندتها ، ودعته لمساعدتها ، هذا في الوقت الذي حاول السوننكى المطرودون من باديبو العودة من جديد .

وتورط أتباع المابا في حروب مع السوننكى في نيومي ، واضطر مابا أن يقود الجيش إلى سالوم في الشمال لتعقب جماعات السوننكى ، وكان هذا يعني الدخول في حرب إلى جانب ملك سالوم ويدعى ماكودو (Macodou) لمناصرته ضد ابنه سامبا لوبي فال (Samba Laobe Fall) الذي حاول طرد أبيه من الحكم ، واستطاع مابا مساعدة الوالد الحاكم الذي اعتنق الدين الإسلامي ، وأمكن طرد الابن سامبا لوبي إلى دويلة سين (Sine) المجاورة[٢٢] .

وعاد مابا إلى باديبو ، لكن سامبا لوبي أحضر قوة كبرى من سين بعد أن طلب مساعدات من الفرنسيين ، واضطر مابا إلى التصدي له بقوة زادت عن عشرة آلاف محارب ، ودار قتال عنيف بين الطرفين ، وتدخل الفرنسيون بأسلحتهم الحديثة مع سامبا لوبي فتغيرت صورة المعارك ، وحلت الهزائم بجيش مابا ، الذي فقد الكثير من الأرواح والمعدات ، حتى أن مابا نفسه قد جرح ، وانتشرت الإشاعات بأنه قد مات ، واضطر المرابطون إلى التقهقر من باديبو إلى مناطقهم ، ومات الملك الأب ماكودو ، وبعده بقليل مات ابنه سامبا لوبي عام ١٨٦٤ ، مما أعطى الفرصة لمابا لاكتساح المنطقة بسرعة بعد أن فقد كل منافسيه هناك ، وانضم إليه عدد كبير من المسلمين من الشمال ومن الجنوب ، بل ومن سالوم على حد سواء .

وفي مارس ١٨٦٣ عبرت قوات المسلمين النهر من باديبو إلى كيانج (Kiang) ودمرت هذه القوات مواطن السوننكى حول تنديبا (Tendeba) ، وبعد شهر واحد انظم إليها مابا بقوات كبيرة من المحاربين ، الذين أحرقوا عدداً من المدن على حدود باديبو[٢٣]

وأعلن مابا ورجاله أنهم يرغبون في نقل الجهاد إلى دويلات النهر ، للقضاء على تحدي السوننكى في باديبو ، وتحطيم كل الهياكل التقليدية ، وقتل كل الحكام والقواد السياسيين في مدن السوننكى[٢٤] .

لكن قوات مابا واجهت الهزيمة الثانية في كونلا (Kwinella) إحدى المدن الرئيسية في كيانج ، وترك مابا عدداً كبيراً من جنوده دون أن يتمكن من دفنهم خارج أسوار المدن ، كما فقد حصانه وطبول الحرب الخاصة به ، وبعد هذه الهزيمة الثانية لم يحاول مابا تدعيم نفوذه على نهر جامبيا ، ولم

---

(٢٢) C. O. 87/76 d'Arcy to Newcastle 23 March, 1863.

(٢٣) C. O. 87/76 Primet to d'Arcy 9 March, 1863.

(٢٤) Monteil, V.: Lat Dayor, Damel du Kayor, In Islam in Tropical Africa (ed) I. M. Lewis, London, 1966, p. 365.

يؤسس نظاماً للحكم الدائم في هذه المناطق . ورغم أن باديبو ظلت مقره الرئيسي وقاعدته الأساسية للجهاد ، إلا أنه بعد الهزيمة الثانية بدأ يوجه جهوده نحو دويلات الولوف في الشمال حتى نهر السنغال .

ولعل السبب في تغير استراتيجية مابا وتركيزه على الشمال ، ذلك التحالف الذي تم بينه وبين لات ديور (Lat Dyor) حاكم كايور الذي عزله الفرنسيون في عام ١٨٦٤ ، بالإضافة إلى أن حاكم الولوف بحث عن ملاذ له عند مابا واعتنق الدين الإسلامي . وهكذا فإن لات ديور وابن أخيه البري نديا حاكم الولوف دخلا الدين الإسلامي وظلا يواصلان نشاطهما لنشر هذا الدين حتى وفاتهما ، ووقف مابا إلى جانب لات ديور في حربه ضد الفرنسيين حتى وفاته[٢٥] .

وكان جهاد مابا قد وصل إلى أعلى مراتبه عندما اعترف الفرنسيون به كإمام وحاكم شرعي لباديبو وسالوم ، وذلك من خلال المعاهدة التي وقعها مع الفرنسيين ، والتي أعطتهم حق إقامة مراكز على طول نهر سالوم ، واحترام الوحدة الإقليمية لكل من كايور وباول (Paol) وباديبو وسالوم . وقد أعطت هذه المعاهد للمابا فرصة لكي يدعم دولته ، ويرسي قواعد الدين الإسلامي في كل ربوعها[٢٦] .

لكن روح الجهاد والدفعة التي أحدثتها في المنطقة ، والتحالف الذي تطور بين الزعماء المحليين في كايور وباديبو وسالوم ، كل هذا جعل الفرنسيين يسعون للقضاء على هذه القوة النامية ، وازدادت شكوكهم في مابا الذي كان يسعى إلى عقد اتفاقيات مع زعماء الترارزا (Trarza) على الشاطئ الأيسر لنهر السنغال ، ومع التورودوب في فوتاتورو . وحدث في ذات الوقت قيام أعمال التمرد في باديبو من جانب الماندنجو ، فاضطر مابا إلى العودة إلى جامبيا للقضاء على هذه الحركات الثورية ، لكنها كانت تفوق قدراته .

وقام الفرنسيون في حوض السنغال بوضع حد لهذا التحالف الذي يشكل خطراً عليهم ، وفي نوفمبر ١٨٦٥ قام القائد الفرنسي بنت لابريد (Pinet Laprede) بحملة من ثلاث آلاف جندي أوروبي وحوالي عشرة آلف من حلفائهم الأفارقة ، واتجه إلى باديبو لتحطيم حصون المسلمين وقلاعهم بما في ذلك مدينة نيورو عاصمة مابا ، وحوالي ثلاثين مدينة أخرى . لكن هذه الحملة باءت بالفشل ، وجرح القائد نفسه ، وانفصلت مؤخرة القوة ، وعانى الجنود كثيراً من الحمى ، ومات منهم عدد كبير .

واستعاد المسلمون مواقعهم ، وفي خلال أشهر معدودة أعادوا بناء سور نيورو ، وصاروا على

---

(٢٥) Klein, Martin: Op. cit., p. 82.

(٢٦) Klein, Martin: Ibid. p. 91.

أهبة الاستعداد لشن حملات جديدة ناحية الشمال حتى كايور ، وكان مابا يرغب في تجنب الالتحام مع الفرنسيين . لكن الفرنسيين قاموا بإرسال حملة أخرى إلى سالوم وباديبو في شهر مارس ١٨٦٧ ، وقد أحرقت هذه الحملة القوارب والمحاصيل والقرى ، وقتلت أعداداً كبيرة من السكان ، واضطر مابا إلى الدخول إلى منطقة سين مع لات ديور ومجموعة من المحاربين[٢٧] .

وكانت منطقتا سين والسرر في عداء مستمر ضد المسلمين ، ولم يجد مابا من يسانده ودخل في معارك مع السوننكى في سومب (Somb) ، وقد أسفرت هذه المعركة عن مصرع الزعيم الديني مابا ، وقام حاكم سين بقطع رأسه وإرسالها إلى الفرنسيين في جورى (Goree) ودفن جسده في جوسيس (Gossos) بالقرب من سوكون (Sokone) على الحدود ما بين نيومي (Niumi) وسالوم ، وصار قبره مكانا للزيارات المحلية من قبل جماعات المسلمين .

إن حركة مابا لم تكن مجرد حركة دينية تسعى فقط إلى بسط لواء الإسلام على السكان بالاسم فقط ، بل حملت هذه الحركة الإصلاحية بعض الجوانب التي لقيت قبولاً لدى السكان خصوصاً جماعات التورودوب الذين ينتمي إليهم الشيخ مابا ، حيث أن هذه الجماعات عاشت قروناً طويلة في حزام غرب أفريقيا تعمل في الرعي والتنقل من مكان لآخر وراء الماشية والعشب ، ولم تعرف الاستقرار إلا في القرن التاسع عشر ، وعاشت هذه الجماعات تدفع ضرائب للحكام المحليين من الماندي والسرر وغيرهم . وظلت جماعات الفولاني بعيدة عن الأمور السياسية ، وانشغل علماؤها في دراسة الدين الإسلامي وتدريسه ، وكانت جماعات التورودوب هي المحرك الأول ، وحجر الزاوية في هذا النشاط الديني ، ونجح الفقهاء منهم في تكوين خلايا إسلامية في كل المجتمعات التي عاشوا فيها ، ولما ازداد عدد المسلمين من التورودوب وظهرت بدايات المجتمعات الإسلامية أحست هذه الفئات بأنها محرومة من الكثير من الامتيازات ، وأنها معزولة عن الحياة السياسية ، وأنها تدفع الضرائب بشكل غير قانوني للحكام المحليين ، ولذا عندما أعلن مابا - وهو من التورودوب - حركته الإصلاحية ضد الحكام الوثنيين استجابت له هذه القاعدة العريضة من الفئات المحرومة ، ووجدت فيه الأمل المرتقب لتخليصهم مما هم فيه من الآلام ، وتطلعت هذه الجماعات إلى جهاده باعتباره نقطة تحول في حياتهم الهامشية ، وبداية انطلاقة لثورة دينية تجعل الإسلام رائداً لهم في تلك الحركة الإصلاحية .

وخلاصة القول أن هذه الحركة الإصلاحية التي قام بها مابا لم تكن حركة دينية فحسب ، بل كانت حركة سياسية واجتماعية واقتصادية ، هدفها الأساسي نشر الإسلام وتعاليمه بين السكان ، وفي نفس الوقت سعت الحركة إلى إقامة مجتمع إسلامي يحل كل التناقضات داخل الهيكل

---

(٢٧) C. O. 87/73 d'Arcy to Newcastle 22 May, 1862.

الاجتماعي ، ويقضي على النظام الوراثي للأسر الحاكمة التي لا تطبق الشريعة الإسلامية وتفرض على السكان ضرائب غير شرعية .

أي أنها حركة إصلاحية عامة اتخذت من الدين الإسلامي هدفاً لها بقصد إقامة مجتمع إسلامي على أسس الشريعة الإسلامية ، ناهيك عن تقويض الهياكل السياسية القائمة ، وبناء مجتمع إسلامي يعطي لرجال الدين والفقهاء فرصة لتطبيق الشريعة وبناء هيكل سليم أسوة بالهياكل السياسية التي نشأت في كل من شمال نيجيريا وفي منطقة ماسينا وفي بلاد السنغال ، وفي دولة ساموري توري .

وقبل استشهاده نجح مابا في تكوين وحدة سياسية ضمت الكثير من الدويلات المستقلة في جامبيا ، ولأول مرة تعاون الولوف والماندنجو والفولاني على شاطىء النهر في مغامرة سياسية مشتركة . واستطاع المرابطون من أتباعه اكتساح مناطق الشاطىء الأيسر للنهر حتى سالوم ، وفرض مابا سلطاته عليها ، وأقام عدداً من الرئاسات التابعة له ، وحكم كل رئيس منطقة من هذه المناطق يساعده عدد من المستشارين من رجال المنطقة ، وظلت السلطة النهائية في أيدي مابا في عاصمته نيورو ، لكن هذه السلطة لم تعمر طويلاً بعد وفاة زعيم الحركة .

والسؤال الآن ، لماذا فشل جهاد الشيخ مابا بهذه السرعة ؟

لقد ساعدت عوامل كثيرة على فشل جهود الشيخ مابا في إقامة دولة إسلامية بعد حركته الإصلاحية في باديبو ، ذلك لأن هذا الشيخ قضى معظم وقته في حروب مستمرة مما شتت قواه ، ولم يجعله يستقر طويلاً في مكان ، ناهيك على أن المدة التي عاشها بعد إعلان الجهاد لم تستمر أكثر من أربع سنوات . كما أن مابا عندما ترك دراساته في بلاد الولوف وعاد إلى باديبو بعد قضاء عشر سنوات مع الحاج عمر الفوتي قد جعلت منه عالماً أكثر منه قائداً ثورياً أو إدارياً ناجحاً . وقام بكل هذه الأعمال العنيفة بعد أن جاوز سن الخمسين ، ولم يكن قد حمل السلاح من قبل .

كما فشل المابا في إقامة حكومة مركزية قوية ، ولم يستطع أن يربي جيلاً من العلماء الذين يمكن أن يكونوا طبقة قوية ، تستند عليها دعائم الحكم في الدولة .

وأهم من كل هذا أن مابا نفسه كان عازفاً عن تولي المناصب الدنيوية ، كما أنه كان يتجنب ممارسة السلطة في باديبو ، وأعلن أكثر من مرة اعتزاله الأمور الدنيوية ورفض المنصب السياسي ، وكان دائماً يفضل العودة إلى مزرعته ليعمل فيها . وقد كتب إلى الحكومة البريطانية في باثورست يعلن أنه قد تخلص من السوننكى وأنه أنهى المؤسسات الملكية ، وألغى كل أشكال السلطة التي كانت سبباً في السلب والنهب لأنه رجل سلام ومحبة ولا يعشق السياسة والحكم[٢٨] .

---

(٢٨) C. O. 87/73 d'Arcy to Newcastle 22 August, 1862.

ومن بين هذه الأسباب أن مابا كان بطبعه عالماً وفقيهاً ، ولم يكن ثورياً أو محارباً أو حاكماً ، وأنه كان يفضل إمامة الجيش في الصلاة قبل المعارك[٢٩] . وهناك عامل جوهري آخر أدى إلى تقويض هذه الدولة الإسلامية ، هو أن نشأتها وتطوراتها قد واكبت التوسع الاستعماري الفرنسي والإنجليزي في المنطقة ، ورغم أن مابا حاول تهدئة الأمور مع الطرفين بل وحاول عقد معاهدة مع الفرنسيين عام ١٨٦٤ ، إلا أنها كانت معاهدة جوفاء لأنها لم تمنع من وقوع صدام بينه وبين الفرنسيين ، كما تدخل الفرنسيون في وادي السنغال وفي جورى في محاولة للبحث عن طريق مناسب إلى نهر النيجر ، وهو ما يتعارض مع توسعات مابا ، مما جعل الصدام حتمياً بين الطرفين . كل هذا شتت جهود مابا هنا وهناك ، وكان عليه أن يحارب الوثنيين في سانجامبيا ، بل ودخل في صراع معهم انتهى باستشهاده في هذه المعارك .

وباختصار فإن جهاد الشيخ مابا لم يحقق الأهداف المرسومة له لأنه تزامن مع التكالب الأوروبي على القارة الأفريقية مثله مثل كل حركات الإصلاح التي نشأت في غرب القارة في القرن التاسع عشر كحركة محمد الأمين وساموري توري والحاج عمر الفوتي التكروري ، وكلها حركات نشأت مع التوسعات الاستعمارية ، مما أفقدها عنصراً هاماً من عناصر تطورها وجعلها تدخل في صراعات مستمرة مع السكان الوثنيين ومع القوى الأجنبية الأوروبية التي كانت تتربص بها من كل حدب وصوب ، ولهذا تفرقت الدويلات ، وتمزق الهيكل الذي حاول زعماء الجهاد وضع أطره الكاملة وانجرفت المنطقة بعد مرحلة من الفوضى والدمار نحو السيطرة الاستعمارية .

رابعاً : النتائج التي ترتبت على حركة جهاد مابا

يعتبر جهاد مابا نموذجاً من نماذج الحركات الإسلامية التي شهدتها مناطق غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر ، كما أنه يجسد الكثير من أفكار القرن التاسع عشر حيث نجح جهاده في تحقيق الهدف الأساسي لأي حركة جهاد في المنطقة ، ألا وهو نشر الدين الإسلامي بين الوثنيين ، وتكوين مجتمع متجانس يعتنق ديناً واحداً ، بعد أن انهار المجتمع التقليدي للسوننكي . ورغم أن جهاد مابا لم يعمر طويلاً بسبب التدخل الأجنبي ، إلا أنه استطاع خلال الحقبة الصغيرة التي شن فيها جهاده أن يحقق بعض النتائج التي يمكن أن نجملها على النحو التالي : .

أولاً : استطاع مابا أثناء حملات جهاده أن يوحد الدويلات المستقلة ، وضم القرى إليها ، وكون وحدة سياسية في جامبيا . ولأول مرة عرف الولوف والماندنجو والفولاني - على شواطىء نهر جامبيا - الوحدة وتعاونوا سوياً ضد عدو مشترك .

ثانياً : اتسطاع مابا أن يكون دولة واحدة اتخذت من نيورور عاصمة له ، وقسم مناطق الدولة الجديدة إلى عدة مديريات تحت إشراف قواد الجهاد الرئيسيين ، وركز السلطة الرئيسية في يده ،

(٢٩) Klein, Martin: Op. cit., p. 92.

وطبق الإدارة غير المباشرة على النمط الإسلامي الذي ساد في دولة سوكوتو ، واستجاب الناس للتنظيمات الجديدة بسبب قوة سحر شخصيته . وظهرت جماعات جديدة في دويلات النهر ، وانتهت أنماط الحكم القديمة كما لجأت أعداداً كبيرة من الولوف والسرر إلى المنطقة ، واندمجوا في حركة المرابطين التي أنشأها مابا ، ونمت دويلات جديدة على أسس الدين الإسلامي . وكان هذا من إيجابيات حركة مابا الإصلاحية[٣٠] .

وصار الدين الإسلامي أساس الحياة العامة ، وتحول عدد كبير إلى الدين خاصة أسرى الحرب الذين كانوا يفضلون الدخول في هذا الدين ، وتشير آخر الإحصائيات في النصف الثاني من القرن العشرين أن أكثر من ٨٠٪ من إجمالي سكان دويلات السوننكى القديمة اعتنقت الدين الإسلامي ، ويرجع ذلك أساساً إلى جهود رجال الدين المخلصين ، وإلى جهاد الشيخ مابا[٣١] .

ثالثاً : رغم الإيجابيات التي حققها مابا طوال فترة جهاده القصيرة ، إلا أن الحركة قد عانت كثيراً بعد وفاته ، حيث فشل الحكام الذين خلفوه في فرض سيادتهم على المناطق المجاورة ، بل وعادت بعض النظم الملكية إلى الظهور ، وساندتها القوى الاستعمارية مثل فرنسا ، وحاول عدد من أتباع مابا الإبقاء على وحدة المنطقة لكنهم فشلوا في جذب الناس إليهم ، بل وسادت روح من التعصب والحروب من أجل فرض السيطرة السياسية على المنطقة ، وأدى هذا إلى سلسلة من الأعمال العسكرية التي حطمت القواعد الأساسية لهذه الهياكل الاقتصادية ، وخربت الأرض ، وعم الدمار في كثير من المناطق . وكان ذلك من العوامل التي عجلت بالصراع الأوروبي وضم المنطقة إلى الدول الأوروبية خاصة فرنسا وانجلترا ، بل ويمكن القول أن حركة جهاد مابا كانت من العوامل التي فرضت أوضاعاً جديدة على المنطقة ، وغيرت من الإطار العام لنظم الحكم ، ودفعت القوى الاستعمارية إلى إنهاء الأوضاع الجديدة وتقسيم مناطق جهاد مابا بين فرنسا وإنجلترا .

وأخيراً فإن الأثر الثابت لهذا الجهاد الإسلامي الذي بدأ في عام ١٨٦٣ يمثل نمواً طبيعياً لحركة تطور المجتمع في غرب إفريقيا ، الذي شهد عدة تحولات في هذا المجتمع ، واستطاع الدين الإسلامي خلالها أن يشق طريقه وسط هذه التحولات ، وأن يفرض على السكان وضعاً جديداً بعد أن طبق الناس هذه المثل الإسلامية ، التي صارت تشكل جوهر حياتهم ، ولعب مابا دوراً كبيراً في هذا التحول الذي قضى على النظم التقليدية ، وظهر التعاون لأول مرة بين مختلف الجماعات التي تحالفت سوياً لبناء مجتمع إسلامي متكافل ، لكن الأطماع الاستعمارية الفرنسية والبريطانية حالت بين هذا المجتمع المسلم وبين متابعة دعم ذلك البناء الإسلامي في غرب القارة .

---

(٣٠) Annual Report, Upper River Province, The Gambian Colony 1949, Cambia Archives.

(٣١) Monteil, V.: Lat-Dior, Damel du Cayor et l'Islamisation de Wolofs au XIX Siecle, Archives de Sociologie des Religions, No. 14, 1962, pp. 77-90.

مصـــادر البحـــث ومراجعـه

أولا : وثائق أصلية باللغـات الأجنبية :

1 . Annual Report, Upper River province the Gambia Colony 1949.

2 . C. O. 87/80 d'Arcy to Cardwell 24 October 1864.

3 . C. O. 87/75 d'Arcy to Newcastle 24 May 1862.

4 . C. O. 87/74 d'Arcy to Mewcastle 8 August 1862.

5 . C. O. 87/80 d'Arcy to Cardwell 24 October 1864.

6 . C. O. 87/73 d'Arcy to Newcastle 22 May 1862.

7 . C. O. 87/74 d'Arcy to Mewcastle 24 January 1863.

8 . C. O. 87/80 d'Arcy to Newcastle 22 May 1862.

9 . C. O. 87/76 d'Arcy to Mewcastle 24 March 1863.

10. C. O. 87/76 primet to D'Arcy, 9 March 1863.

11. C. O. 87/73 d'Arcy to Newcastle 22 May 1862.

12. C. O. 87/73 d'Arcy to Newcastle 8 August 1862.

ثانياً : الـمـــراجع الأجنبيـــة :

1. Arcin, A.: Histore de la Guinee Francaise Riviere du Sud, Fouta Dioalo, Region du Souden Paris 1911.

2. Fernandes, V.: Description de la Coite Occidentable d'Afrique (ed) T. Monod and R. Meuny, Bissou 1951.

3. Camble, D. P.: Contribution to a Socio Economic Survey of the Gambia, London 1949.

4. Gibb, H. A. R.: Mohammedanism, London 1963.

5. Jobson R. The Golden Trade, London 1932.

6. Klein, Martin: Islam and Imperialism in Senegal, Sine-Saloum 1847-1914, London, 1968.

7. Lewis, M.: Islam in Tropical Africa, London 1966.

8. Park, M.: Travels of Mongo Park. (ed) Miller 1954, London 1799.

9. Quinn, Cherlotte: Mandengo Kingdoms of the Senegambia, London 1972.

10. Willis, R.: The Cultivators of Islam, Vol. I, London 1978.